عناية مسلمي كيرالا باللغة العربية

محمد علي شهاب الفيضي الكوماني

محاضر، الجامعة النورية العربية، فيض آباد، ملابرام

إن لولايتنا - كيرالا- لها علاقة تاريخية باللغة العربية و ثقافتها. وذلك الارتباط قد اشتد منذ أن وصل فيها الإسلام وحمل أهله رايته الكريمة. وهؤلاء الدعاة الكرام غيروا مجري تاريخ كيرالا وسيرها بعلومهم العميقة، وأعمالهم الخالصة، وقيادتهم المستقيمة، وكانوا مهرة وحذاقا في الدين وشريعته ومتقنين في القرآن ورسالته القيمة. أسسوا المساجد في نواحي كيرالا وركزوا حواليها حركات إسلامية بإقامة الدروس والمجالس العلمية. وأخذوا بمجامع القلوب ونالوا ثقة القوم كلهم حيث سارع الناس اليهم أفواجا، ورغبوا فيها واشتاقوا الي قبول الإسلام وتعلم القران ولغته التي أحبها الله ورسوله عليه أفضل الصلوات والتسليم. ومجيئهم وتنظيمهم صار سببا لانتشار اللغة العربية في أنحاء كيرالا وأطرافها حتي نشأ العلماء المتبحرون في اللغة العربية كما نفهم من الحقائق التاريخية.

كذالك لغة عربي مليالم التي أثرت في نشر العربية بين مسلمي كيرالا باستخدامها واستعمالها في الأبيات والمقالات وغيرها. وصارت هذه اللغة وسيلة لغوية بالنسبة الي مسلمي كيرالا لفهم الدين وتعلم أحكامه. ومما يذكر أن هذه اللغة العربية الشريفة أثرت في شعب كيرالا وحياتهم تاثيرا عميقا لكونها لغة الإسلام ولسان القران الكريم. ولذلك ما زالوا ولا يزالون يتعلمون اللغة العربية ويعيشون لها ويحترمونها ويحبونها في مر الزمان ويتبادلونها جيلا بعد جيل. كان أكثر المسلمين بمليبار يتعلمون الأحرف العربية قبل أن يدرسوا لغتهم الإقليمية. وهذا الأسلوب الممدوح يعتني به المسلمون في هذه الآونة حسب المستطاع.

لعبت اللغة العربية دورا عظيما في المعركة الوطنية ضد البرتغاليين والإنجليزيين حيث تقدم عقلاء مسلمي كيرالا وأدباءهم لتشجيع الناس وتقويتهم باستخدام العربية

وارتقاءها بالنسبة الي تاريخ النهضة الأدبية ومواهبهم العربية. وقد شهدت تلك الفترة لظهور تأليفاتهم وحركاتهم الأدبية.

قدّم مسلمو كيرالا في مجال التصنيف والتأليف مواهب حميدة وعطايا كثيرة. منها تحفة المجاهدين المترجمة الي لغات كثيرة وفتح المعين المؤلف في الفقه الشافعي، المشهور في كيرالا وخارجها. ومن العلماء الأعلام البارزين في ميدان التأليف عمر القاضي البلانكوتي المشهور في العالم العربي الذي نيّر أشعة اللغة العربية بين العوام والخواص. وقد صنف القاضي عمر رضي الله عنه تصانيف ممتازة مفيدة والقاضي عمررضي الله عنه هو فاقد النظير وعديم المثال في عشق الاله وعشق الرسول وآله. وهذا نفهم من أن أحسن قصائده وأجملها في مدح النبي صلي الله عليه وسلم مع التفنن والتنوع.

ومن الوقائع المشهورة زيارته الروضة النبوية الشريفة وما القي فيها قصيدة جذابة بلغة تفيض بعشق خير الأنام حيث استمع إليها العرب والعجم تعجبوا وتمتعوا بها وفتح له باب الروضة ومن سطورها:

ياأكرم الكرما علي أعتابكم عمر الفقير المرتجي بجنابكم

يرجو العطاء علي البكاء بباكم والدمع من عينيه سال سجيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

نجد في أبياته وقصائده أشعة ساطعة في نموّ اللغة العربية في كيرالا ومثالا سابقا للأجيال الباقية. ألقي العلماء الكيراليون الضوء الي معظم جوانب الفنون الأدبية مثل الشعر والنظم والنثر والمرثية والعلوم الدينية مثل الفقه والتصوف والعلوم اللغوية والنحوية.

دور دروس المساجد في نمو اللغة العربية:

ولا يتم تاريخ عناية مسلمي كيرالا باللغة العربية بدون إلقاء الضوء الي تاريخ دروس المساجد. فإن الدروس أسسها العلماء لتعليم العربية بين عامة الناس وخاصتهم. وطبقوا نظاما تعليميا لا نظير له في العالم كله. وكان ذلك بمعاونة أهل الخير من القري والبلدان حيث منحوا المعاش للطلاب والمدرسين ومدّوا إليهم أيادي

العون والكرم. وقد اشترك دروس المساجد في تقدم اللغة العربية بمعني واسع منذ القرون لأن تاريخ مساجد كيرالا تبدأ من قدوم دعاة الإسلام إليها. وكان بلدة "شاليات" من مهبط العلماء المهرة والقضاة البررة. ومن أشهرهم احمد كويا الشالياتي رحمه الله.

وكذلك تاريخ الأسرة المخدومية بفنان التي أثرت في كيرالا شعبها وثقافتها، وهم اللذين منحوا للغة العربية مواهب علية وعطايا جزيلة. وبذلوا أتم جهودهم وغاية سعيهم لتكون العربية ساطعة مشرقة في زوايا كيرالا. ومن أشهر تلك الأسرة المبروكة الشيخ زين الدين بن علي بن أحمد المعبري الذي بنى المسجد الكبير بفنان. وبعد القرن الخامس عشر صار فنان مركزا مشهورا للغة العربية وأضاء فنان كسراج منير في العلوم والتعاليم.

وهذه الدروس التي جرت في المساجد كانت تقع كالكليات والجامعات، قصد إليها وفود الطلاب وحشود المتعلمين. ومن هذا النظام الدرسي نشأ عديد من الأدباء المتبحرين في العربية في كيرالا. ومنهم الشعراء والفقهاء والخطباء أمثال العلامة الفضفري والعلامة شهاب الدين الشالياتي وشمس العلماء وغيرهم من النجباء الفخام.

وفقنا الله لخدمة دينه ولغة كتابه ورزقنا شفاعة نبيه صلى الله عليه وسلم